فاخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي مع البحر بل اخذ الكل مع القافية ؛
وقال بابي فتاة من كمال صفاتها ، وجمال بهجتها تحار الاعين
، كم قد فعت عوادلي من وجهها ، لما تبدت بالتي هي احسن
قال الشيخ جمال الدين واجاد الى الغاية ؛
وقال فديتك ايها الرامي بقوس ، ولحظ يا ضنا قلبي عليه ؛
، لقوسك نحو حاجبك انجذاب ، وشبه الشي منجذب اليه ؛
فاخذ الشيخ صلاح الدين وقال تشرط من احب فذبت وجدا ، فعاد وقد راى جزعي عليه
، عقيق دمي جرى فاصاب خدي ، وشبه الشي منجذب اليه
ما اظن ان الشيخ صلاح الدين غفر الله له لما سمع ما قاله الشيخ جمال الدين ونظم بعده هذين
البيتين كان في حيز الاعتدال ، واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد
وليته تلفظ بالانجذاب بل قال عقيق دمي جرى فاصاب خدي ، ولعمري ان الشيخ جمال
الدين بجذر فيما نكته على الشيخ صلاح الدين في براعة استهلاله بقوله تعالى رب اغفر لي
ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وقال بعدها اللهم ومن دخل بيتي كافرا بفوايدي المنعمة
، وبيت شعري سارقا من الفاظه ومعانيه المحكمه ،
، فاخذه في سره وعلانيته ، وعاقبه على قوله وعلى نيته ،
مما بلغني عن بعض ادبا عصرنا ممن منحته ودي ، وانفقت على ذهنه الطالب ما عندي
واقمته وهو لا يدري الوزن مقام من زكاة نقدي ، واودعته ذخاير فكري فانفقها
، واعرته اوراق الحديقة فلا والله ما ردها ولا اعتقها ،
انه عير الثنا بالهجاء ، والولا بالجفاء ، ونسبني الى سرقة بيوت الاشعار مع الغنا
عنها والعناء ، فتغاضيت وقلت همزة مشاء بنميم ،
، وغلطة صديق اتجرعها ولو كانت من حميم ،
واخليت من جد يته باب فمي ومجلس صدري ، وصرفت ذكره عن فكري ؛
ولكن وقفت له على تصانيف وضعها في علم الادب والعلم عند الله تعالى ، ووشحها
كما زعم بشعره ، وشعري المغصوب المنهوب بقوله يا صاحبي الا لا ؛
ما يتوضح من جيد تلك الاشعار لمعة الادمن لفظي مشكاتها ، ولا تضوع زهرة الا
دمني في الحقيقة نباتها ، فضحكت والله من ذهنه الذاهل ، وذكرت على زعمه قول
القايل وفتى يقول الشعر الا انه فيما علمنا يفرق المسروقا ، وعجبت كيف يرضى لنفسه
هذا

١٠

هذا الامر منكرا ، وكيف حلى لذوقه اللطيف هذا الحرام مكررا وقد اوردت الان هنا
في هذا الكتاب قدرا كافيا ، ووزنا من الشعر وافيا وسميته خبز الشعير لكونه
الماكول المذموم ، وعرضته على محد لتموه مولانا ليعلم اينا مع خليله المظلوم ، ولولا
الاطالة لاوردت جميع ابيات الشيخ جمال الدين التي دخل اليها الشيخ صلاح الدين
بغير طريق لبرتدع القاصر عن التطاول الى معاني الغير ومن البراعات التي
يستهل بها في هذا الافق الذي مراة سمايه صقيله براعة المقر المرحوم القضاي
الفخري عبد الرحمن بن مكانس مالك ازمة البلاغه ، وملك المتاخرين نثرا ونظما في رسالة
كتب بها الى المقر القضاي الزيني ابي بكر بن العجمي عين كتاب الانشا الشريف بالابواب
الشريفة بسبب عبد الله الزغبي القروي الضرير فانني نقلت من خط المشار اليه ما صورته
ورد علينا شخص من القيروان ضرير يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالي من المعاني فتردد
الى مجالس متفرقه ثم بلغني بعد ذلك انه وشى الى صاحبي الشيخ زين الدين بن العجمي باني اهتضمت
من جانبه وانتقصته وغضيت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا
فتاذى بسبب ذلك وتاذيت من كذب الناقل فكتبت اليه رقعه براعة استهلالها
ليس على الاعمى حرج اقول يستغني بهذه البراعة عن الرسالة منها وبلغ المملوك انه
وشى بعض الاصحاب بريبة مثل هذه فاصمي ، وتردد اليه مرة اخرى ، فعبس وتولى ان جاءه
الاعمى ، ولقد خسرت صفقته اذ المملوك ما برح مخلصا لمولانا في ولايه ، ما يعاله على سلطنة
البلاغة ، واجل من تشرف بحمل لوايه ، ومولانا بحمد الله اولى من استفتى قلبه ، واستدل على
صفا صدق محبته بشواهد المحبة والمسول من صدقاته امران احدهما الجواب
فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من الشدة ، والاخر رد كل فاسق عن الباب العالي
فان ابا بكر اولى من تصلب في الردة انتهى كلام القاضي فخر الدين ، ولقد كشف الشيخ
جمال الدين بن نباته عن هذا الوجه الجميل القناع واظهر من بهجته في رسالة السيف
والقلم ما ليس لمطالع البدور عليه اطلاع فان الرسالة مبنيه على المفاخرة بينهما ولما
انتصب القلم لمفاخرة السيف كانت براعته ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة
ربك بمجنون واستهل بعدها بقوله الحمد لله الذي علم بالقلم ، وشرفه بالقسم وبراعة
استهلال السيف ، وانزلنا الحديد فيه باس شديد ، ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره
ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز واستهل بعدها بقوله ، الحمد لله الذي جعل الجنة تحت
ظلال السيوف ، وشرع حدها في ذوي العصيان فاغصتهم بما الحتوف ، وممن طلع من

Copyright © King Saud University